لبنان

نظر في اشغالهِ العموميَّة وزراعتهِ ومستقبلهِ الاقتصاديّ

للاديب اميل افندي خاشو سر مهندس لبنان سابقًا (تابع)

٢ زراعتــهُ

دعنا ننتقل الآن الى بحث آخر نجدهُ اخطر شأنًا من بحثنــا السابق في اشغال لبنان العموميَّة نريد الزراعة. فانَّ لبنان جبل زراعيّ يجد اهلهُ في استنبات تربتهِ ثروة واسعة لو شاؤوا. ومن ثمَّ نرى انَّ الحكومة تكسب شكر اللبنانيين لو اقامت لهم مهندساً زراعيًّا فانهم الى مثل هذا ناظر الزراعة احوج منهم الى مهندس للطرق والجسور. ولعمري انّي طالما تأكّدت الامر بذاتي وعرفت مــا يُبنى من الآمال على زرّاع خبير يرشد اهل الجبــل الى تحسين زراعتهم وتنظيمها على حسب الاصول الرعيَّة اليوم في البلاد المتمدّنة

والعجب كلّ العجب ان الزراعة اللبنانيَّة لا تزال في طفوليَّتها كما كانت في عهــد قدماء المصريين والفينيقيين فترى الحاريث الخشبيّة غير محكمة الصُنع يجرُّها البقر ولا تكاد تقلب التربة بل تخمش وجهها فقط

وقد انتبه البعض منذ زمن قريب الى هــذا الخلل لكنَّهم لم يمكنهم سدّهُ اما لكونهم لم يتفرَّغوا الى درس هذه الصناعة درساً قانونيًّا اما لقلّة ما وجدوا من الوسائط لتحقيق مرغوبهم. فصرفوا نظرهم الى تربيــة دود القزّ مع انَّ الزراعة تجديهم ارباحًا اعظم من الحرير بكثير

هذا ولا نجهل انَّ لفنّ الزراعة اصولًا لا يدركها العوامّ فتحتاج الى من يقرّبها الى فهمهم ولهذا تمنّينا ان تُعيّن الحكومة ناظرًا للزراعة يفيد اهل لبنــان امورًا عديدة تفوتهم. فمثال ذلك انَّ الفلّاح يعلم في اي زمــان يقتضيهِ زرع الذرة والقمح لكنَّهُ لا يدري أيَّة تربة اصلح لجنس دون آخر فلو وجد خبيرًا لأفادهُ ما يجهلهُ. كما انَّ المريض يعلم انَّ الكينا تشفي الحمّى لكنَّهُ يلتجئ الى الطبيب ليعرف علَّة تلك الحمّى ويحسم سببها وليقف ايضاً على زمن التداوي بالكينا وعلى كميَّتها وغير ذلك ممَّا هو موكول الى

علم الطبيب. فهكذا الزراعة فانها تحتاج الى شروط متعدّدة هي من شأن العالم بها يهدي غيرهُ اليها . ومما يذهلنا انّ لحكومة لبنان عشرة اطبّاء او اكثر تتفق عليهم وليس لها ناظر واحد للزراعة

وهذا ما يحدُو بي الى ان اقدّم هنا للقرّاء بعض ملحوظات شخصيّة لحظتها في مدّة تجوالي في لبنان وان كان هذا الامر خارجاً عن حيّز اشغالي الهندسيّة الّا اني لا اقول شططاً لاني قضيت سنوات عديدة في القطر السوري والمصري وكلاهما من البلاد الزراعيّة وخدمتُ سنةً في شركة زراعيّة في مصر فتعاطيت الابحاث المختصّة بالزراعة

واوّل ما يُقتضى التنبيه اليه ان تُعاد الى لبنان غاباتهُ القديمة فيُكسى هذا الجبل بالاشجار التي كانت فخرهُ وزينتهُ في غابر الاعصار . وهذا بالحقيقة مشروع غاية في الاعتبار لا يستغني عنهُ الوطن سواء كان لتخفيف وطأة الحرّ او لغنى الاهلين ولمستقبلهم الاقتصادي فلا بأس أن نسترسل في هذا الموضوع

ولا اظنّ انّ احداً يحتاج الى أن اصف لهُ ضرورة الاحراج او يُماريني في بيان منافعها فانّ لدينا امثالاً قريبة تزيل في ذلك كل شكّ. فالجزائر مثلاً كانت قبل خمسين سنة بلاداً قفرة تحرقها الشمس ولا تكاد امطار الشتاء تجودها فتحييها . فحاولت الحكومة المحليّة ان تستدرك هذا الخلل فغرست على طريقة نظاميّة غابات الاشجار فاصبحت اليوم تلك الجهات مقصودة لحسن هوائها ورطوبة جوّها واعتدال مناخها . والامطار فيه تسقط بنظام وتتكلّل هامة جبالها بالثلوج

وهذا المثل دفع الحكومة المصريّة منذ بضع سنوات الى ان تنشئ « شركة وردان » غايتها نصب الغابات وقد خصّت لذلك ٤٠,٠٠٠ فدّان من املاكها

اما لبنان فانهُ على عكس ذلك يفقد يوماً بعد يوم القليل مما بقي من اشجاره . وعمّا قليل ستصبح كلّ قمهِ اجرد من الصلعة ولا يبقى من اوصافهِ الشهيرة التي اطنب فيها الكتاب الكريم غير الذكر المشكور والاثر دون العين. واوّل ضرر ينجم عن ذلك انّما يصيب الفلاحة والاملاك لأن الامطار تقلّ شيئاً فشيئاً وتيبس مجاري المياه وتنضب العيون وتتعطل الاراضي فلا تأتي بزرع . وليس الداء بلا دواء لكنّ الداء يتفاقم كلّ يوم فان لم يُعالَج اصبح عُضالاً وأدّى الى مَوات الاراضي

هذا ولستُ مجاهل انّ غرس لبنان بالغابات فُتيّة طالت نفستها وتردّدت ادوارها

حتى أَلِفها السامعون ولم يعودوا يعيرونها بالًا . لكنني لا اقالك انا ايضاً عن تكريرها ولو عرَّضت نفسي للسخريَّة والهزء لعلمي بأنَّ كلامي لا يُسمع لهُ صدًى . لكني اعرف من جهة أُخرى ان العقلاء في لبنان يرتأون رأيي ويتمنَّون مثلي ان يُكسى لبنان بثوبهِ السندسي الذي لم يبقَ منهُ غير أسمالٍ يجرِّدهُ عنها كل يوم ذوو الجهل والطيش . أفلا تنظر مثلًا تلك الغابة الغنَّاء التي تزين وادي عين زحلتا يتنازعها منذ سنين قومٌ ينهبونها ويتلفونها وعمَّا قليل يتركون الوادي خرابًا يبابًا . فترى انَّ لبنان ليس فقط لا يعود الى مفاخرهِ النباتيَّة القديمة لكنَّهُ يمشي القهقرى فيا لله اليس في لبنان قوَّة حاكمة تغطن لهذه الاضرار وتصون تلك الكنوز من ايدي المعتدين

بل يترتَّب على حكومة الجبل أن تتقدَّم الافراد وتبتدئ قبل الجميع بنصب الاشجار على جانبي الطُرق التي فتحتها . فانَّ في هذا العمل من المنافع ما لا يخفى على ناظر . ومما يصلح لذلك شجر الازدرخت (الزنزلخت) واللبخ (الاكاسيا) والاوكاليبتس فهي لو نُصبت على طول الطرق التي قلنا انها تبلغ نحو الف كيلومتر لزيَّنت لبنان وافادتهُ الفوائد الجمَّة . امَّا نفقة العمل فزهيدة بالنسبة الى هذه الفوائد . فان حسبنا لكل خمسة امتار شجرةً بلغ عدد الشجر ٢٠٠,٠٠٠ لألف كيلومتر ولنفترض انَّ النصب الواحد مع كلفة غرسهِ وصوانهِ يساوي خمسة غروش فانَّ مجموع النفقات يبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة

وان قيل انَّ هذه المبالغ لا يمكن الجبل ان يقوم بها اجبت ان الامر سهلٌ لو قُسم على خمس سنوات . كما انَّ الحكومة يمكنها ان تطلب من كل مديريَّة ان تغرس الاشجار في قسم الطريق الواقع في جوارها وقد سبق جناب الامير قيصر بلَّمع مدير القاطع وادرك منافع العمل وبهمَّتهِ غُرست اشجار الاكاسيا في كلّ طرق بكفيَّا ولم تتجاوز نفقات العمل على البلديَّة اكثر من اربعة قروش ونصف لكل شجرة

لمَّا المنافع التي يُحصل عليها بغرس هذه الاشجار فمنها (اوَّلًا) انها تصون جانبي الطريق وتزيدهما ثباتاً وتمكيناً فضلًا عن زينتهما . (وثانيًا) انَّها تظلِّل الطريق وتخفِّف وقدات الحرّ في الصيف وهو الفصل الذي يكثر فيهِ عدد السيَّاح ولا خفاء ما ينال اللبنانيُّون من الارباح بمرورهم في مواطنهم . (وثالثًا) انَّ الاشجار اذا تأصَّلت ونمت

اضحت مورداً جديداً لثروة الجبل باوراقها واغصانها وخشبها وهذه الثروة تبتدئ منذ السنة الخامسة لغرسها ثم تزيد سنةً بعد سنة

ولا يكفي حكومة الجبل ان تقوم بهذا العمل بل ينبغي لها ايضاً ان تبعث همم الاهلين في الاقضية والديريات ليصونوا الغابات الموجودة عندهم . ويغرسوا غيرها ويكفّوا الاذى عنها بعد غرسها سواء كان من الماعز او من الخطّابين وان لزم الامر تضرب الضرائب على الرُعاة واصحاب المواشي الذين يتجاوزون اوامرها . ولولا ذلك لذهبت كلّ الاتعاب سدًى . فانظر مثلاً نواحي كسروان فانّ الصخور صارت غالبةً على معظم جهاتها . وانّما الذنب على قطعان الماعز التي تعيث في انصاب الاشجار وتأكل براعيمها فتتلفها بزمن قليل

وناحية المتن تفضل على بقيّة نواحي الجبل بغاباتها ومغارس اشجارها وسعي عمّالها المشكور في صيانة الاحراج . لكنّ في هذه الناحية قطعةً كبيرة اكثرها سُهل وهي القطعة الواقعة بين اطلياس ونهر الكلب والمزارع فان تربتها طيبة تتركّب من الرمل المختلط باجزاء حديديّة تصلح كلّ الصلاح لغرس الصنوبر البحريّ فانّ هناك بعض اشجار منها تدلُّ على حُسن هذا المشروع لو عمّ تلك الجهة

وكذلك في جنوبيّ بيروت على مسافة عشرة كيلومترات طولاً في معدّل ٥٠٠ متر عرضاً اراضي متّسعة تبلغ ١٥٠٠ فدّان كلها رمل لا يستفاد منها شيء فلو نُصبت فيها اغراس الصنوبر لاضحت كجنّات غنّاء تزيد بها المدينة حسناً وبهاء . ولنا مثال حديث يؤيّد قولنا في ذلك . فانهُ كان في فرنسة في مقاطعة اللّند (Landes) سهول يغلب عليها الرمل وكلها اقفار لا تُسكن وكانت مساحة تلك الناحية تُربي على ٣٠,٠٠٠ فدّان فابتاعها احد التجار من الدولة ليستثمرها ويزرعها . فغرس فيها الصنوبر البحري فما لبث أن نمت الاشجار وبسقت اغصانها حتى صار المكان بقعة نضرة افاد منها صاحبها الاموال الجزيلة وجعلها عامرةً بعد ان كانت غامرة

وان سألت ما هي الاشجار التي تصلح لتربة لبنان اكثر من سواها فهاءنذا اعدُّ بعضها لفائدة العموم . ١ً الطرفاء (tamaris) فانّها تصلح لكلّ ارض يغلب عليها الرمل او تكون خفيفة التربة . ومثلها الكازوارينا (casuarina) . ومن اصلح الاشجار واوفقها لبلادنا مع كثرة جدواها ونفعها لتنظيف الهواء من الجراثيم المَرَضيّة لشجار

الاوكاليبتس بكل انواعه وموطن الاوكاليبتس بضروبه بلاد اوستراليا وهو ينمو بسرعة غريبة . ومنه صنف غاية في الصلاح للاراضي الرملية يُدعى اوكاليبتوس بيلّيانا (eucalyptus Baileyana)

ومنها الصنوبر البحري او الراتينجي (pinus picea) الذي يحدق ببعض اطراف بيروت فيحرّمها الى متنزهات رائقة

ومنها الروبينيا (pseudo-acacia) وهي شجرة من جنس الطرفاء او الأثل مشوكة تسرع بنموها وتزدان بخضرة يأنس بها النظر

اما الازدرخت او الزنزلخت فهو اشهر من ان يحتاج الى ذكر (التتمة لعدد آخر)

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

٢ الآداب العربيّة في اوربّة في بدء القرن التاسع عشر

علمٌ بنا نوجّه الآن الانظار الى احوال الاداب العربيّة بين الاوربّيين في مفتتح القرن التاسع عشر ليظهر للقرّاء كيف تمّت بعد ذلك تلك النهضة العجيبة التي جعلت الدروس العربيّة في مقام ممتاز كما نراها اليوم في حواضر اوربّة واميركة

ليس درس اللغات الشرقيّة عموماً والعربيّة خصوصاً امرًا مستحدثاً بين علماء اوربّة كما يزعم البعض بل ابتدأت الافكار تتوجّه الى احراز معانيها والتقاط آليها منذ الفتوحات الاسلامية التي قرّبت امم الشرق من تخوم البلاد الغربيّة ولو تتبّعنا الآثار المنبئة ببيان هذه القضيّة لتعدّدت لدينا الشواهد لاسيّما في جهات الاندلس وبعض جهات الروم. لكنّ تلك الحركة زادت قوّةً وانتشارًا في القرن الثاني عشر لما جرى في ذلك العهد من الامور الجليلة والاحداث الخطيرة التي كادت تمزج طرفي الشرق والغرب مزج الماء بالراح

والكنيسة الكاثوليكيّة كانت اعظم ساعية في ادراك هذه الغاية فمتى اشتهروا اذ ذاك في الدروس الشرقيّة واعتنوا بنقل الآثار العربيّة الى اللاتينيّة او بثوا انجاثهم على احوال الشرقيين رئيس دير كلوني بطرس المكرّم (١٠٩٢—١١٥٦م) وكان رحل الى